Issue 6238-6240 Saturday - Monday 5-7/1/2019
الزمان – السنة الحادية والعشرون العدد 6238-6240 السبت – الاثنين 30 من ربيع الثاني 1440 هـ 5-7 من كانون الثاني (يناير) 2019م
Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/21. UK

قمتان للتباهي العربي.. شتوية وربيعية

فؤاد مطر
بيروت

بات مألوفاً أن إنعقاد القمة، عربية كانت أو إسلامية أو التي في كتلة عدم الإنحياز أو الإتحاد الأفريقي، في الدولة التي يتم فيها الإنعقاد، هو نوع من الإعتزاز بذلك. النظام في هذه الدولة يتباهى. والشعب يشعر بأهمية وطنه وعاصمته. وبقيت مصر متباهية منذ إنعقاد القمة العربية الأولى التي ضيفها الملك فاروق في المزرعة الملكية في "انشاص" على مدى يومي 28و 29مايو / أيار 1946وكان الإنعقاد خالياً من الموضوعات الخلافية الصعبة، إلى أن قاسمها التباهي لبنان بعد عشر سنين حيث أن الرئيس كميل شمعون (رحمة الله عليه) دعا القادة العرب إلى قمة إستثنائية ضيفها في بيروت يومي 13و 14/ تشرين الثاني 1956. وبهذه القمة التي كانت رائدة ظاهرة القمم العادية والإستثنائية والدورية بعد ذلك، سجّل لبنان في كتاب العروبة أنه على نحو ما دسْتره الميثاق الوطني وما زاده تثبيتاً إتفاق الطائف في البند الثاني من "وثيقة الوفاق الوطني" التي أذاعها بنداً بنداً وزير الخارجية السعودية الأمير سعود الفيصل (رحمة الله عليه) يوم الإثنين 18 سبتمبر/ أيلول 1989وهو "لبنان عربي الهوية والإنتماء، وهو عضو مؤسس وعامل في جامعة الدول العربية وملتزم بميثاقها...". كما سجل إضافة بالغة الأهمية وهي أنه عندما يصيب المكروه دولة شقيقة فإنه يبادر إلى ما هو أكثر من تسجيل موقف لفظي. ومن هنا كانت مبادرة الرئيس شمعون المتمثلة بدعوة القادة العرب إلى قمة إستثنائية في بيروت لمناصرة مصر ضد العدوان الثلاثي (البريطاني- الفرنسي- الإسرائيلي) رداً على تأميم عبد الناصر قناة السويس. ويومها شارك في تلك القمة الملك سعود بن عبد العزيز. الملك حسين. عبد الفتاح المغربي رئيس مجلس السيادة في السودان. الرئيس السوري شكري القوتلي. فيصل الثاني(ملك المملكة العراقية). كميل شمعون. مصطفى بن حليم رئيس الحكومة الليبية نيابة عن الملك ادريس السنوسي. عبد الحميد غالب نيابة عن الرئيس عبد الناصر. الأمير سيف الإسلام محمد البدر وليّ عهد المملكة المتوكلية اليمنية نيابة عن الملك الإمام يحي. رحمة الله على الجميع. ورغم أن كميل شمعون بريطاني الهوى وأن لبنان عموماً فرنسي الهوى (هذا قبل سبعة عقود) إلاّ أن فيض الإحساس العروبي تقدّم على ما عداه وكانت الدعوة إلى القمة والتلبية من دون أي تحفظات. وأما القرارات فكانت عبارة عن أربعة من نوع ما قل ودل: مناصرة مصر وإتخاذ التدابير الفعالة إذا تطلّب الأمر في حال عدم سحْب القوات المعتدية من الأراضي المصرية من دون قيد أو شرط، وإعتبار سيادة مصر أساس حل لموضوع تأميم قناة السويس، وتوجيه "تحية الأُخوة الصادقة والتقدير والإعجاب إلى سيادة رئيس الجمهورية المصرية جمال عبد الناصر وإلى القوات المصرية المسلحة وإلى شعب مصر، مكْبرين وطنيتهم وتفانيهم في الدفاع عن سلامة مصر وسيادتها وعن القومية العربية وكرامة شعوبها وعزتها". وحيث أن الجزائر كانت ما زالت تواجه نضالها ضد الإستعمار الفرنسي فإن لبنان العروبي شاء أن تكون القمة مناسبة لتضمين القرارات "تأييد مطالب الشعب الجزائري في نضاله حتى تحقيق أمانيه القومية في الإستقلال والسيادة". وتشاء الظروف الصعبة التي عاشها لبنان نتيجة عشر سنين من الحرب والصراعات وتدخلات الأغراب في شؤونه أن يسجل رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان وقفة مماثلة لتلك التي إتخذها الرئيس شمعون، وتمثلت في أنه من أجْل تدعيم لبنان المثخن بتداعيات الحرب وحرصاً على تمتين أساساته التي وضعها إتفاق الطائف، إرتأى تجيير دور الإمارات في إستضافة القمة العربية الدورية إلى لبنان الذي إستضافها يوم 27مارس/آذار 2002وبات يتباهى أمام الجمع الدولي بأن مبادرة السلام العربية إنطلقت من قمة بيروت وهذا أمر شاءه الملك عبدالله بن عبد العزيز للدور اللبناني وبحيث باتت دول العالم تربط أول مبادرة سلام عربية حظيت بإجماع غير مسبوق، بصدورها من بيروت.

اهمية الحكمة

وهذه ذروة التباهي وتعكس مدى أهمية الحكمة المقرونة بالحنكة على نحو ما فعله الشيخ زايد لجهة تجيير مكان الإنعقاد وما شاءه الملك عبدالله لجهة إنطلاق مبادرة السلام العربية من لبنان بالذات. ومن هنا يجوز الإفتراض أن الحنكة الإماراتية المقرونة بالحكمة والمتمثلة حديثاً بإنفتاح متدرج على النظام البشّاري بهدف إستعادته إلى فضائه العروبي، هي إستحضار من جانب الأبناء لأسلوب الأب الراحل في إقتحام الأبواب الموصدة أمام تصويب مواقف كلما تأخر البت فيها إزدادت تعقيداً. وعندما يستحضر البنون تخريجات الأب التي تستهدف مداواة الأحوال العربية بما هو متيسر، فهذا مؤشر إلى أن القمة العربية الدورية خلال إنعقادها الثلاثيني في تونس منتصف ابريل/ نيسان 2019مرشحة لأن تحقق إعادة متدرجة لسوريا البشّارية بمثل إستعادة مصر إلى مكانها في منظمة المؤتمر الإسلامي خلال قمة إستضافها الملك الحسن الثاني في الدار البيضاء من 16إلى 19يناير/ كانون الثاني 1984وكانت تلك الإستعادة خطوة أُولى مهدت لاحقاً لإستعادة مصر عضويتها المعلّقة في الجامعة العربية ثم عودة الأمانة العامة للجامعة إلى مقرها في القاهرة. وتلك وقائع بات محلّلاً في مقال لاحق الكشف عما في إضبارات شاهد مثل حالي واكب القمم وتابع ما عُرف وكان مثيراً من مواقف وقرارات، وما خفي من مشاورات وإستقطابات في لقاءات الكواليس كان أعظم. بعد أيام هنالك موعد ثالث للبنان يمكن التباهي به ويتمثل في أنه تم التوافق قبل بضعة أسابيع على أن يستضيف قمة عربية تنموية إقتصادية.

وفي العادة إن أهل الحكم في أي بلد عربي عندما يكون هنالك مثل هذا الموعد يستعدون له أفضل إستعداد من تعبيد الطرقات التي تمر فيها مواكب القادة الذين وافقوا على المشاركة إلى تجهيز الفنادق وتفخيم الأجنحة التي سيحل فيها رؤساء الوفود ناهيك بقوائم الطعام التي سيتم تقديم وجباتها الثلاث.

وإلى ذلك إعداد سيارات جديدة وتأثيث القاعة التي ستنعقد فيها جلسات القمة وتزهيرها بأنواع الورود. وهذا يسبق توجيه الدعوات التي تتم من خلال مبعوثين بتفاوت مراتبهم الرسمية. ويبذل أهل الحكم إياهم الكثير من الإهتمام بالأمر على أساس أن القمة المستضافة ستدخل بنداً في تاريخهم الشخصي.

وكل هذا الذي نشير إليه يحدث في حال توافر العنصر الأساسي لنجاح إنعقاد قمة وهو أن البلد مستقر ومؤسسات الحكم تمارس مهامها على الوجه الأكمل. كما ليس هنالك مشاكل عالقة ولا إحتجاجات شعبية. بعض ما نشير إليه تم تجهيزه عدا العنصر الأساسي حيث أن لبنان من حكومة منذ بضعة أشهر. وما هي ذروة الإستغراب أن الدعوات إلى القمة كانت تتم من خلال وزير في حكومة موجودة إسماً من دون فعل، كونها على نحو التسمية الرسمية لها "حكومة تصريف أعمال".

تسويف وصراعات

وفي الوقت نفسه هنالك تسويف وصراعات وتبادل شتائم ومكايدات وزرع ألغام سياسية قابلة للإنفجار. كما هنالك حالة من التردي في قطاعات التجارة والصناعة، ناهيك بالهواجس والخشية من إفلاسات قد تحدُث تباعاً ولا يسلم منها حتى المصارف اللبنانية.. إلاّ إذا كانت ظاهرة الإكثار من فتْح الفروع لهذه المصارف تعني أن لا خوف مما هو أعظم. وإلى ذلك إن المدعوين إلى القمة لا بد يتساءلون: كيف تكون التنمية هي عنوان هذه القمة ، والحال مستمر على نحو ما هو حاصل في لبنان. ومثل هذا التساؤل قد ينتهي إلى الخشية من أحد أمريْن: إما تنعقد القمة الشتوية على مستويات الصف الثالث من المسؤولين وفي ذلك خسارة معنوية للبنان.

وإما لا يكون هنالك إجماع على الحضور. وفي الحالتيْن خسارة.

وأما بالنسبة إلى القمة الربيعية (القمة العربية الدورية الثلاثون) التي ستستضاف في تونس، فإن ما يقال في شأن أحوال لبنان المنقوص الحكومة يقال في شأن أحوال تونس المعلولة الحكومة لكثرة المناكفات وبالذات بين الرؤوس الكبيرة. هذا عدا أن الشارع قابل في إستمرار لإستقبال الأصفر مثلما حدث في السودان وما زال ومرشح دائماً للحدوث في لبنان. هنا نتساءل: أي معنى للتباهي إذا كانت القمة سواء تلك الشتوية في بيروت إذا كانت أمور أهل الحكم على النحو الذي لا يشجع، وتلك الربيعية في تونس إذا كان أهل الحكم لا يبذلون جهوداً وفاقية لكي تكون إستضافتهم للقمة فرصة لبلسمة ما على قادة الأمة بلسمته للجراح العربية وأكثرها نزفاً الجرح السوري.

والله التواب.

بمناسبة الذكرى 98 لتأسيس الجيش العراقي الباسل

المؤسسة العسكرية ودورها في بناء وتطوّر الدولة

عماد علو
بغداد

المقدمة

لاشك في أن التعرف على الإشكاليات النظرية المتعلقة بتشكل ودور الجيش العراقي يعد مدخلاً لازماً لفهم دور المؤسسة العسكرية في مجتمعنا العراقي. فقد شكلت النخب العسكرية الجماعة الاستراتيجية الأولى في العراق منذ ظهور الدولة العراقية الحديثة في العام 1921. حيث أصبح الجيش مكوناً اساسيا" في بناء السلطة وفي بناء المجتمع في آن واحد. ولقد ذهب إيفرز إلى أن السبق الزمني للجماعة الاستراتيجية يؤدى إلى أن تحتل هذه الجماعة مكانة أكبر من الجماعة التي يتأخر ظهورها الزمني (أحمد زايد ، النخب الاجتماعية ، الناشر مركز البحوث العربية والإفريقية ، القاهرة:2005 ص 35). ولقد تزامن ظهور الدولة العراقية الحديثة مع تأسيس الجيش العراقي عام 1921ولذلك بقي هذا الجيش ينمو ويتطور مع نمو وتطور مؤسسات الدولة العراقية الفتية فاعتبر هو العمود الفقري للدولة العراقية بمختلف مراحل تطورها حتى أصبح مؤسسة كبيرة واسعة وشاملة لمختلف الصنوف والخدمات والاختصاصات العلمية والفنية والقانونية والطبية وخبرة تدريبية و قتالية كبيرة ، جمعت و وحدت تحت لوائها كل العراقيين بمختلف قومياتهم ومذاهبهم من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب فكانت بحق رمزا لوحدة الدولة العراقية ووحدة شعبها حيث قاتل العراقيون بمختلف مكوناتهم العرقية والدينية والمذهبية ، في صفوف الجيش العراقي دفاعا" عن العراق ومن أجل أمنه وعزته واستقراره . وذلك فان المؤسسة العسكرية العراقية كانت دائما" في موقع التأثير والتأثر بالأحداث السياسية الداخلية والاقليمية والدولية ، ومقصدنا فى هذه الدراسة هو استجلاء بعض الإشكاليات المرتبطة بتفسير غلبة وبروز دور المؤسسة العسكرية في المجتمع العراقي ، على جميع الجماعات الأخرى، وظروف ظهورها المبكر الذى أدى إلى أن تحصل على أعلى درجة من المكاسب عبر مسيرة المجتمع، وكان مكسبها الأكبر هو صعودها إلى سدة الحكم، واحتلالها مكانة مركزية في عملية صناعة القرار.

دور النخب العسكرية في بناء الدولة

كانت ثورة العشرين الخالدة التي انتشر لهيبها ليشمل كافة أنحاء العراق من أقصى جنوبه حتى أقصى شماله ، ضد الاحتلال البريطاني في 30 حزيران 1920قد كلفت بريطانيا ثمناً باهظا في الجنود والمعدات ، واجبرت لندن على أثرها تغيير أسلوبها في حكم البلاد المباشر ، فقررت تشكيل حكومة عراقية وتنصيب فيصل ابن الحسين ملكاً على العراق وإقامة ما سمي بالحكم الوطني ، مستعينة بمجموعة من الضباط والبالغ عددهم 62 ضابطاً والذين كانوا يسمون بالشريفيين [نسبة للشريف علي بن الحسين ملك الحجاز] الذين خدموا في الجيش العثماني وكان لهم دور بارز في الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين التي قادها الشريف علي بن الحسين ! وكان في مقدمتهم نوري السعيد ،وجميل المدفعي ،وعلي جودت الأيوبي، وياسين الهاشمي ،محمد أمين زكي ، وأمين العمري ، وجعفر العسكري ، بكر صدقي ، ورشيد عالي الكيلاني ، وعبد المحسن السعدون ، وتوفيق السويدي وشاكر الوادي، ومصطفى العمري ،الذين تداولوا على السلطة طيلة الحكم الملكي . وفي 6 كانون الثاني 1921 ولد الجيش العراقي عندما شكل أول فوج منه هو فوج موسى الكاظم(عليه السلام) حيث نمى وتطور هذا الجيش مع نمو وتطور مؤسسات الدولة العراقية الفتية وعاصر ارهاصات تكون الدولة العراقية الحديثة في مختلف مراحل تطورها حتى أصبح مؤسسة كبيرة واسعة وشاملة لمختلف الصنوف والخدمات والاختصاصات العلمية والفنية والقانونية والطبية وخبرة تدريبية و قتالية كبيرة .

الجيش والسياسة

لما كان هذا الجيش الذراع الضاربة للمؤسسة الحكومية العراقية ورمز قوتها وهيبتها ، بالإضافة الى الخلفية العسكرية لقادة العراق ورموز حكومته الفتية ، فكان سرعان ما وجدت المؤسسة العسكرية العراقية الفتية نفسها معنية بشكل مباشر بعكس وتنفيذ سياسات الحكومة العراقية لجهة فرض نفسها وسلطتها في الداخل العراقي خصوصا" بعد أن استخدمت الحكومات العراقية (المدنية) الجيش العراقي في مواجهة الاضطرابات وحركات التمرد التي كانت تندلع في مختلف مناطق العراق من جنوبه الى شماله ومن شرقه الى غربه ، حيث كان للجيش العراقي بالإضافة الى قوات الاحتلال البريطاني دور في قمع ثورات العشائر في الفرات الأوسط وثورة الأكراد في كردستان ، وثورة الآثوريين في سميل ، والأيزيدية في سنجار. وكان لتصاعد ونمو قدرات الجيش العراقي دور كبير في تشجيع العديد من قادته للبحث عن موقعاً متقدما" في مراكز الحكم في البلاد ، وكان باكورة تلك النشاطات الانقلاب الذي قاده الفريق بكر صدقي في 27 تشرين الأول 1936بالاتفاق مع الإصلاحيين الذين كان على رأسهم حكمت سليمان الذي تولى رئاسة الوزارة بعد نجاح الانقلاب وإسقاط حكومة ياسين الهاشمي ، وتشكيل الوزارة بأغلبية من الإصلاحيين . الأمر الذي اثار مخاوف بريطانيا من تحول الجيش وقدراته لمقارعة النفوذ والهيمنة البريطانية على مقدرات العراق ، فكان أن دبرت المخابرات البريطانية عملية لاغتيال الفريق بكر صدقي في الموصل وتحريك بعض قطعات الجيش في الموصل وبغداد لإجبار حكومة الاصلاحيين برئاسة حكمت سليمان على الاستقالة.

حركة مايس 1941

كما برز الدور السياسي للجيش العراقي اثر حركة رشيد عالي الكيلاني 1941الذي استعان بالعقداء الأربعة قادة الجيش وهم كل من صلاح الدين الصباغ وفهمي سعيد ، وكامل شبيب، ومحمود سلمان ، حيث جرى إقصاء الوصي عبد الإله وتعيين الشريف شرف بدلاً عنه وتشكيل حكومة برئاسة رشيد عالي الكيلاني ، التي اعلنت الحرب على بريطانيا وطالبتها بالخروج من العراق . فكان أن سارعت بريطانيا للتصدي للجيش العراقي والقيام إنزال جيوشها في البصرة ، والتي زحفت إلى بغداد وأسقطت حكومة الكيلاني وهرب الكيلاني والعقداء الأربعة ، واستطاعت بريطانيا إلقاء القبض على قادة الجيش في إيران وتم إحالتهم لمحكمة عسكرية حكمت عليهم بالإعدام وجري تنفيذ الحكم ، أما الكيلاني فقد وصل إلى المانيا وبقي برعاية هتلر حتى نهاية الحرب حيث تمكن من الهرب والوصول إلى السعودية التي منحته اللجوء السياسي هناك .

الجيش والسياسة الداخلية

ما أن تبلور بناء المؤسسة العسكرية العراقية الفتية حتى وجدت نفسها معنية بشكل مباشر بعكس وتنفيذ سياسات الحكومة العراقية لجهة فرض نفسها و سلطتها في الداخل العراقي خصوصا" بعد أن استخدمت الحكومات العراقية (المدنية) الجيش العراقي في مواجهة الاضطرابات وحركات التمرد التي كانت تندلع في مختلف مناطق العراق من جنوبه الى شماله ومن شرقه الى غربه ، لذلك وجدت النخبة العسكرية العراقية نفسها في وقت مبكر في خضم الحياة السياسية خلال السنوات (1936 ـ 1941) بعد ان استخدم الجيش لأول مرة كسلاح سياسي في أحداث الاثوريين في سميل ، بقيادة بكر صدقي سنة , 1933 ثم في المراحل اللاحقة كان للجيش العراقي بالإضافة الى قوات الاحتلال البريطاني دور في قمع ثورات العشائر في الفرات الأوسط وثورة الأكراد في كردستان ،والأيزيدية في سنجار. كما قام نظام صدام حسين(1968 ـ 2003) باستخدام الجيش العراقي في قمع (الانتفاضة الشعبانية) التي اندلعت في اعقاب حرب الخليج الثانية عام 1991في معظم محافظات العراق الجنوبية والشمالية بعد أن عجزت قوات الامن الداخلي في قمع (الانتفاضة الشعبانية) .

الجيش والسياسة الخارجية

في العام 1948بعد الاغتصاب الصهيوني لفلسطين واعلان ما سمي بـ(اسرائيل) قامت الحكومة العراقية بإرسال الجيش العراقي الى الاراضي العربية في فلسطين للتصدي للمغتصبين الصهاينة , حيث ساهم واشترك الى جانب جيوش عربية اخرى في الحرب العربية الاسرائيلية الاولى وكان له دور مشهود ومؤثر في تلك الحرب ! الا أن تداعيات تلك الحرب ونتائجها انعكست على الداخل العراقي بين عامي 1951 و 1952الذي شهد العديد من الاحتجاجات والتظاهرات حيث تطلب الامر انزال الجيش للشوارع والسيطرة على الاوضاع المضطربة التي اعقبت قيام الكيان الصهيوني في فلسطين . كما تم استخدام الجيش وقوات الشرطة السيارة لقمع تظاهرات عام 1956على أثر العدوان الثلاثي على مصر والتي امتدت لتشمل مدن وقصبات العراق كافة . وفي عام 1967شارك الجيش العراقي التصدي للعدوان الصهيوني على الاردن ومصر وسوريا وبقي في الاردن مرابطا" حتى جرى سحب قطعاته بعد انقلاب 1968. وفي عام 1973اندفع الجيش العراقي الى سوريا للدفاع عن دمشق ضد القوات الصهيونية في الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة في وقت كانت طائرات القوة الجوية العراقية أول من وجه ضربات جوية على مطارات ومعسكرات العدو الصهيوني انطلاقا" من الجبهة المصرية ! وفي عام 1980 تصدى الجيش العراقي للاعتداءات الايرانية على المناطق الحدودية لتندلع الحرب العراقية الايرانية التي استمرت لمدة ثماني سنوات سطر بها الجيش العراقي اروع الملاحم البطولية لتنتهي في 8/8/ 1988 بانتصار الجيش العراقي . الا أنه بدلا" من اعادة الجيش العراقي الى ثكناته واعادة تنظيمه بعد ثماني سنوات من الحرب الضروس قدم خلالها الجيش العراقي العديد من الشهداء ، زج به صدام حسين في أتون مغامرة جديدة غير محسوبة العواقب ألا وهي حرب غزو الكويت عام 1990والتي انتهت بتدخل قوات التحالف الدولية التي الحقت بالجيش العراقي هزيمة كبيرة في معركة غير متكافئة تسببت بتدمير جزء كبير من الآلة العسكرية العراقية التي كانت قد بلغت مستوى لا يستهان به من القوة في السلاح والعتاد ، الامر الذي أضعف الجيش العراقي الى درجة كبيرة خصوصا" بعد أن حرم طيلة فترة 13عاما" من الحصار والعقوبات الولية من اعادة تسليحه وتجهيزه بالحديث من الاسلحة والمعدات ، فكان أن ظهر عاجزا: عن مواجهة قوات الغزو الامريكية والبريطانية في العام 2003 التي تمكنت من احتلال العراق وقامت بحل الجيش العراقي ..

الجيش والانقلابات العسكرية

ومع تنامي سوء الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق قبل عام , 1958فأن المشاعر القوية التي كانت تجيش في أعماق الناس كانت تجيش أيضاً في أعماق الجيش ,لذلك فقد مال العسكريون الى ان يعكسوا هموم المجتمع وتطلعاته ,ومن ذلك المنطلق نجد ان اعضاء النخبة العسكرية هم اكثر فئات المجتمع التصاقا وتعاطفاً مع هموم المجتمع في تطلعاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وكان للتغيرات السياسية في عموم الوطن العربي والمنطقة بالإضافة الى الوضع الدولي آنذاك تأثيراته على تحفيز عدد من ضباط الجيش العراقي للسعي إلى إسقاط النظام الملكي بالاتفاق مع عدد من التنظيمات الحزبية العراقية ، واستطاعت تلك المنظمات أن توحد جهودها في اللجنة العليا للضباط الأحرار بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم حيث تمكنت في 14تموز 1958 من أسقاط النظام الملكي، وأعلن الجمهورية بالتعاون والتنسيق مع جبهة الاتحاد الوطني وأنهت الوجود البريطاني في العراق . الا أن عدم النضج السياسي لقادة الانقلاب والخلافات الحزبية بين اركان جبهة الاتحاد الوطني انعكس سلبا" على تماسك المؤسسة العسكرية وهيمنتها على مقاليد الامور في البلاد وهو ما تمثل بالصراع على السلطة بين عبد الكريم قاسم وعدد من رفاقه الضباط في اللجنة العليا للضباط الأحرار وكان على رأسهم عبد السلام عارف الشخص الثاني في قيادة الانقلاب ، ثم كانت محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها العقيد عبد الوهاب الشواف في الموصل ، واعدام عدد من ضباط الجيش في أم الطبول ! كل تلك الامور أدت الى قيام عدد من ضباط الجيش وبالتعاون مع حزب البعث المنحل بانقلاب 8 شباط 1963واعدام الزعيم عبد الكريم قاسم وتنصيب عبد السلام عارف مكانه الا أن الاخير سرعان ما قاد انقلابا" آخر في 13 تشرين الثاني 1963ضد حلفائه البعثيين الذين أتوا به على قمة السلطة . وبعد مقتل عبد السلام عارف في حادث سقوط طائرة جنوب العراق، تولى أخوه عبد الرحمن عارف السلطة بدعم وإسناد من الجناح العسكري المهيمن على السلطة في البلاد من أتباع عبد السلام عارف . وقد تخللت فترة حكم عبد الرحمن عارف بالضعف عدة محاولات انقلابية عسكرية كان ابرزها محاولة أحد العسكريين وهو عارف عبد الرزاق الذي كان يشغل منصب رئيس الوزراء ولكنها باءت بالفشل ايضا" . وفي 17تموز 1968قام حزب البعث المنحل بانقلاب عسكري بالتعاون مع مجموعة عسكرية اخرى بزعامة عبد الرزاق النايف مدير الاستخبارات العسكرية وابراهيم عبد الرحمن الداود قائد القوات العراقية في الاردن ، وسعدون غيدان آمر لواء الحرس الجمهوري حيث أطيح بحكم عبد الرحمن عارف. لكن البعثيين لم يكونوا مرتاحين للشراكة مع مجموعة النايف العسكرية ، فبادروا إلى تنفيذ انقلاب ثانٍ في 30 تموز 1968واستولوا على السلطة الكاملة في البلاد وتمكنوا من تحييد الدور المؤثر للنخبة العسكرية العراقية في مراكز السلطة والنفوذ وصناعة القرار .

خصوصا" بعد اغتيال الفريق حردان التكريتي و اقصاء الفريق صالح مهدي عماش ومن ثم المهيب احمد حسن البكر رئيس الجمهورية في عام 1979و السيطرة التامة على مقاليد الحكم والسلطة ومراكز صنع القرار في الدولة واقصاء النخب العسكرية منها ، ورغم ارتداء النخبة السياسية (وجلها من المدنيين) للملابس والرتب والشارات العسكرية ، الا أن واقع الحال وحقيقة الامر أن المؤسسة العسكرية ونخبها العسكرية كانت مغيبة عن مراكز النفوذ وسلطة صنع القرار في الدولة ولغاية احتلال العراق من قبل القوات الامريكية الغازية في 2003/4/9. ومن الجدير بالذكر أن اعضاء النخبة العسكرية في العراق حملوا وجهات نظر سياسية مختلفة كانوا يسعون الى وضعها موضع التنفيذ ,وان كان لا ينبغي التغافل عن توقهم الواضح الى السلطة ,الذي يجمع بينهم جميعاً وبدون استثناء , فهم يعتبرون انفسهم مثقفين حملة رسالة عقائدية ,وهم لا يختلفون في كل ذلك عن أية جماعة أو فئة اجتماعية اخرى من المثقفين أو السياسيين.

الجيش العراقي الجديد ودوره السياسي

لقد كان للفراغ الامني الذي تركه قرار حل الجيش العراقي من قبل الحاكم المدني الامريكي تداعياته وآثاره السلبية على مجمل السياسة الأمريكية واستراتيجيتها العسكرية في العراق . الامر الذي دفعها لتشكيل جيش عراقي جديد تتلافى بموجبه تلك الاثار والسلبيات التي خلفها قرارها المتسرع بحل الجيش العراقي . حيث اصدر الحاكم المدني بريمر الامر المرقم (22) لسلطة الائتلاف الموقتة في 23حزيران 2003 بتشكيل الفيلق العراقي الجديد (New Iraqi Corps NIC) وقد ابدلت هذه التسمية في ما بعد الى الجيش العراقي الجديد (New Iraqi Army NIA)وقد شجعت سلطة الاحتلال الامريكي في العراق لعناصر الميليشيات الحزبية بالانتساب للجيش بموجب القرار الذي اصدره الحاكم المدني بريمر والمرقم 91 في 7/6/ 2003والذي اتاح لهذه الميليشيات بمختلف اتجاهاتها الطائفية والعرقية أن تنتسب الى المؤسسة العسكرية العراقية الجديدة . في مطلع كانون الثاني 2004 تأسست وزارة الدفاع العراقية الجديدة على انقاض وزارة متجذرة في قدمها ومتأصله في نفوس العراقيين ومشاعرهم ابتداء من تأسيس الدولة العراقية الحديثة في العام 1921. ثم توالى نمو وتطور الجيش العراقي الجديد وتشكيل المزيد من الوحدات والتشكيلات حتى بلغ عدد فرق الجيش الجديد (14) فرقة من ضمنها فرقة آلية واحدة هي الفرقة التاسعة . على الرغم من اقرار الدستور العراقي الجديد الذي صوت عليه الشعب عام 2005بإبعاد الجيش عن السياسة وحصر واجباته بالدفاع عن العراق من التهديدات الخارجية الا أنه استخدم منذ تشكيله في العام 2003 لأغراض حفظ الامن الداخلي في المحافظات والمدن العراقية والتصدي لتظاهرات واحتجاجات شعبية في عدد من مدن العراق بضمنها العاصمة بغداد ! ومواجهة تنظيمات حزبية مسلحة ، فضلا" عن التصدي لعناصر الارهاب المتمثلة بتنظيم داعش الارهابي التي استهدفت الشعب العراقي وبنيته التحتية ، الامر الذي انعكس بشكل واضح على شكل تسليحه وتدريبه وعلى مكانته ودوره الاجتماعي ! وهو ما جعله يقترب في ادائه الى أداء قوات الامن الداخلي والشرطة منه الى جيش نظامي ! وهو ما جعل عدد من كبار قادته يقرون بعدم جاهزيته للقيام بالمهمة التي اسس من اجلها وأقرها الدستور وهي الدفاع عن الوطن حيث شكلت احداث حزيران 2014 بداية مرحلة تاريخية جديدة ، عندما سيطر تنظيم داعش الارهابي على عدد من المدن والمحافظات العراقية ، وما تعرضت له المؤسسة العسكرية من هزة معنوية حفزت الخيرين من ابناء هذا الوطن على اعادة تنظيم وتأهيل وتسليح القوات المسلحة العراقية لتنهض من جديد وتتصدى لإرهاب داعش وتحقق النصر تلو النصر على تلك العصابات التي جاءت من وراء الحدود وتطردها محققة انتصارا" حاسما" عليها اشاد به القاصي والداني.

الخلاصة

استنادا" لما سبق فان المؤسسة العسكرية العراقية منذ تأسيسها في 1/6/ 1921وحلها لاحقا" بعد الاحتلال الامريكي للعراق في أيار 2003وتشكيل الجيش العراقي الجديد في تشرين الثاني 2003 ?لعبت دورا" بارزا" في الحياة السياسية العراقية . كما أنه من السذاجة القول بان المؤسسة العسكرية العراقية لا تلعب اليوم دورا" مؤثرا" وبارزا" في اتجاهات تطور الحياة السياسية في العراق ! واذا كان هذا الامر فيه ما قد يخالف الدستور العراقي فانه لا يعد مثلبة على المؤسسة العسكرية العراقية الجديدة ، بل على القوى السياسية الفاعلة والمؤثرة في العملية السياسية نفسها من خلال اسلوب وطريقة تعاطيها مع هذه المؤسسة تسليحا" وتدريبا" واستخداما". واذا كان معظم ان لم يكن كل جيوش العالم لها دور مؤثر في الحياة السياسية في بلدانها ، فلأن الجيش هو العمود الفقري للدولة وكيانها السياسي وتعافي وقوة ومتانة الكيان السياسي مرتبط بشكل مباشر بقوة و وقدرات الجيش ومؤسسته العسكرية ومستوى تدريبه وتسليحه . تحية للجيش العراقي الباسل في الذكرى (98) لتأسيسه والمجد كل المجد لشهدائه الابطال.

□ لواء ركن متقاعد